



باب الشاء المثلثة

الشاغية: النعجة، قالوا ما له شاغية ولا راغية أي لا نعمة ولا ناقة، أي ما له شيء، ومثله ما له دقيقة ولا جليلة، فالدقيقة الشاة والجليلة الناقة.



الشرملة: بالضم، أنثى الثعالب، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما في الثعلب في هذا الباب.

الثعبان: الكبير من الحيات ذكراً كان أو أنثى، والجمع الثعابين، والثعبه ضرب من الوزغ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الواو. وقال الجاحظ في كتاب «الأمصار وتفاضل البلدان»:

والثعابين بمصر وليست هي في بلد غيرها، وإليها حوّل الله عصا موسى ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107]، يعني أنه حولها ثعباناً عظيماً.

ومما يتعلّق بخبر الثعبان أنّ عبد الله بن جدعان، كان في ابتداء أمره صعلوكاً ترب الديدن، وكان مع ذلك شريراً فاتكاً لا يزال يجني الجنايات، فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلف لا يؤويه أبداً، فخرج في شعاب مكّة حائراً ثائراً، يتمنى الموت أن ينزل به، فرأى شقاً في جبل فظنّ أنّ فيه حية، فتعرّض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله، فيستريح، فلم ير شيئاً، فدخل فيه، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين، فحمل عليه الثعبان، فأفرج له، فانساب عنه مستديراً بدارة عند بيت، ثم خطا خطوة أخرى، فصفر به الثعبان، فأقبل إليه كالسهم، فأفرج له، فانساب عنه، فوقف ينظر إليه يفكر في أمره، فوقع في نفسه أنّه مصنوع، فأمسكه بيده، فإذا هو مصنوع من ذهب، وعينه ياقوتتان، فكسره وأخذ عينيه، ودخل البيت، فإذا جثّ طوال على سرر لم ير مثلهم طويلاً وعظماً، عند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم، وإذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتاً الحارث بن مضاض صاحب العذبة الطويلة، وإذا عليهم ثياب من وشي لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان مكتوب في اللوح عظات قال ابن هشام: كان اللوح من رخام، وكان فيه: أنا نفيلة بن عبد الممدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن نبي الله هود عليه السلام، عشت

من العمر خمسمائة عام، وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك، فلم يكن ذلك ينجيني من الموت. وتحتة مكتوب:

قد قطعت البلاد في طلب الشر وة والمجد قالص الأثواب
وسريت البلاد قفز القفر بقناة وقوة واكتساب
فأصاب الردى بنات فؤادي بسهام من المنايا صياب
فانقضت مدّتي وأقصر جهلي واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب
وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزرجد، فأخذ منه ما أخذ، ثم علم على الشق بعلامة، وأغلق بابه بالحجارة، وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به منه، يسترضيه ويستطعفه، ووصل عشيرته كلهم فسادهم، وجعل ينفق من ذلك الكنز، ويطعم الناس ويفعل المعروف، وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير، وسقط فيها صبي فغرق ومات.

وفي «غريب الحديث» لابن قتيبة أنّ رسول الله ﷺ قال: «كنت أستظلّ بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي»، يعني في الهاجرة وسميت الهاجرة صكة عمي لخبر ذكره أبو حنيفة في «الأنوار» وهو أنّ عمياً رجل من عدوان، وقيل من إباد، وكان فقيه العرب في الجاهلية، فقدم في قومه معتمراً أو حاجاً، فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في وسط الظهيرة: «من أتى مكة غداً في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين، فصكّوا الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغداة، وعمي تصغير أعمى على الترخيم، فحميت الظهيرة صكة عمي، وعبد الله بن جدعان تيمي، يكنى أبا زهير وهو ابن عم عائشة رضي الله عنها، ولذلك قالت: يا رسول الله إنّ ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة، قال ﷺ: «لا إنّ لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»، كذا قاله السهيلي في «الروض الأنف»، وفي كتاب «ري العاطش وأنس الواحش» لأحمد بن عمار أنّ ابن جدعان ممن حرّم الخمر في الجاهلية بعد أن كان بها مغرئاً، وذلك أنّه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه، فضحك منه جلساؤه، فأخبر بذلك حين صحا، فحلف أن لا يشربها أبداً، فلما كبر وهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبذير ماله، ولاموه في العطاء، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه لطمه لكمة خفيفة، ثم يقول له: قم فانشد لطمتك واطلب ديتها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جدعان، ولقد أجاد أبو الفتح علي بن محمد البستي صاحب النظم. والنثر في هذه القصيدة وهي قصيدة طويلة طنانة تشتمل على مواعظ وحكم، فلنأت بها بتمامها وبما ذيل عليها أهل الفضل، ويقال إنّها لأمير المؤمنين الراضي بالله، وهي هذه:

زيادة المرء في دنياه نقصان
 وكل وجدان حظ لا ثبات له
 يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً
 ويا حريضاً على الأموال يجمعها
 دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها
 وأوع سمعك أمثالاً أفصلها
 أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
 وكن على الدهر معواناً لذي أمل
 من جاد بالمال مال الناس قاطبة
 من كان للخير متاعاً فليس له
 لا تخذشن بمطل وجه عارفة
 يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
 أقبل على النفس فلتكمل فضائلها
 من يتق الله يحمده في عواقبه
 حسب الفتى عقله خللاً يعاشره
 لا تستشر غير ندب حازم فطن
 فللتدابير فرسان إذا ركضوا
 وللأمور مواقف مقدرة
 من رافق الرفق في كل الأمور فلم
 ولا تكن عجلاً في الأمر تطلبه
 وذو القناعة راض في معيشته
 كفى من العيش ما قد سدّ من رمق
 هما رضيعا لبان حكمة وتقى
 من مد طرفاً بفرط الجهل نحو هوى
 من استشار صروف الدهر قام له
 من عاشر الناس لاقى منهم نصباً
 ومن يفتش على الإخوان مجتهداً
 من يزرع الشر يحصد في عواقبه
 من استنام إلى الأشرار نام وفي
 من سالم الناس يسلم من غوائلهم

وربحه غير محض الخير خسران
 فإن معناه في التحقيق فقدان
 بالله هل لخراب العمر عمران
 أنسيّت أنّ سرور المال أحزان
 فصفوها كدر والوصل هجران
 كما يفصل ياقوت ومرجان
 فطالما استعبد الإنسان إحسان
 يرجو نذاك فإن الحر معوان
 إليه والمال للإنسان فتان
 عند الحقيقة إخوان وأخذان
 فالبر يחדشه مطل وليان
 أتطلب الريح مما فيه خسران
 فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
 ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
 إذا تحاماه إخوان وخلان
 قد استوى منه إسرار وإعلان
 فيها أبروا كما للحرب فرسان
 وكل أمر له حد وميزان
 يندم عليه ولم يذمه إنسان
 فليس يحمّد قبل النضج بحران
 وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
 ففيه للحر إن حققت غنيان
 وساكننا وطن مال وطغيان
 أغضى عن الحق يوماً وهو خزيان
 على حقيقة طبع الدهر برهان
 لأن طبعهم بغى وعدوان
 فجعل إخوان هذا الدهر خوان
 ندامة ولحصد الزرع إبان
 قميصه منهم صل وثعبان
 وعاش وهو قرير العين جذلان

وما على نفسه للحرص سلطان
عروض زلته صفح وغفران
وراءه في بيط الأرض أوطان
من سرّه زمن ساءته أزمان
إن كنت في سِنَّة فالدهر يقظان
أبشر فأنت بغير الماء ريان
فأنت ما بينها لا شك ظمآن
فليس يسعد بالخيرات كسلان
فكل حر لحر الوجه صوان
غرائر لمت تحصيها وألوان
نعم ولا كل نبت فهو سعدان
فإن ناصره عجز وخذلان
فإنه الركن إن خانتك أركان
وإن أظلمته أوراق وأفنان
وباقل في ثراء المال سحبان
وهم عليه إذا عادته أعوان
من كأسه هل أصاب الرشد نشوان
فكم تقدّم قبل الشيب شبان
يكن لمثلك في الإسراف إمعان
ما بال شيبك يستهويه شيطان
إن شَيَّع المرء إخلاص وإيمان
وما لكمر قناة الدين جبران
فلا يدوم على الإنسان إمكان
والحر بالعدل والإحسان يزدان
فيها لمن يبتغي التبيان
إن لم يصغها قريع الشعر حسان

فإنّها لنجاة العبد عنوان
وعمهم منه في الدارين إحسان
وثغره درر غر ومرجان

من كان للعقل سلطان عليه غدا
وإن أساء مسيء فليكن لك في
إذا نبا بكريم موطن فله
لا تحببن سروراً دائماً أبداً
يا ظالما فرحاً بالعز ساعده
يا أيها العالم المرضي سيرته
ويا أبا الجهل لو أصبحت في لجج
دع التكاثر في الخيرات تطلبها
صن حر وجهك لا تهتك غلالته
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم
ما كل ماء كصداء لوارده
من استعان بغير الله في طلب
واشدد يدك بحبل الله معتصماً
لا ظل للمرء يغني عن تقى ورضاً
سحبان من غير مال باقل حصر
والناس إخوان من والته دولته
يا رافلاً في الشباب الرحب منتشياً
لا تغترر بثياب ناعم خضل
وياأخا الشيب لو ناصحت نفسك لم
هب الشيبة تبدي عذر صاحبها
كل الذنوب فإن الله يغفرها
وكل كسر فإن الله يجبره
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة
فالعروض يزدان بالأنوار فاغمه
خذها سرائر أمثال مهذبة
ما ضر حسانها والطبع صائغها
ومن هنا ذيل من ذيل عليها فقال:

وكن لسنة خير الخلق متبعاً
فهو الذي شملت للخلق أنعمه
جبينه قمر قد زانه خفر

والبدر ينجل من أنوار طلعتَه والشمس من حسنه الوضاح تزدان
 به توسلنا في محو زلتنا لربنا إنه ذو الجود مئان
 ومذ أتى أبصرت عمي القلوب به سبل الهدى ووعت للحق آذان
 يا رب صلّ عليه ما همى مطر فأينعت منه أوراق وأغصان
 وابعث إليه سلاماً زاكياً عطراً والآل والصحب لا تفنيه أزمان
 ومن نثره، يعني أبا القاسم البستي: من أصلح فاسده أرغم حاسده؛ ومن أطاع غضبه أضاع
 أدبه؛ عادات السادات سادات العادات؛ من سعادة جدك وقوفك عند حدك؛ الرشوة رشاء^(١)
 الحاجات؛ أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً وعلى السلطان مذلاً؛ الفهم شعاع العقل؛ المنية
 تضحك من الأمانة؛ حد العفاف الرضا بالكفاف. توفي البستي رحمه الله سنة أربعمائة.

ثعالة: كنخالة وزبالة وفضالة، ثلاثة أخوة يشبه بعضهم بعضاً، اسم للثعلب، وهو
 معرفة وأرض مثقلة بالفتح أي كثيرة الثعالب كما قالوا معقرة للأرض الكثيرة العقارب.

الأمثال: قالوا: أروغ من ثعالة، قال الشاعر:

فاحتلت حين صرمتني والمرء يعجز لا محاله
 والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعاله
 والمرء يكب ماله والشيخ يورثه الفسالة
 والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة
 وقالوا: أعطش من ثعالة، واختلفوا في تفسيره، فزعم محمد بن حبيب أنه الثعلب،
 وخالفه ابن الأعرابي، فزعم أن ثعالة رجل من بني مجاشع، شرب بول رفيق له في مفازة
 فمات عطشاً.

الثعبة: ضرب من الوزغ، قاله الجوهري.

الثعلب: معروف، والأنثى ثعلبة،

والجمع ثعالب، وأثعل. روى ابن قانع في
 «معجمه» عن وابصة بن معبد قال: سمعت
 النبي ﷺ يقول: «شر السباع هذه الأثعل»، يعني
 الثعلب، وكنية الثعلب أبو الحصين، وأبو
 النجم، وأبو نوفل، وأبو الوثاب، وأبو
 الحنص؛ والأنثى أم عويل والذكر ثعلبان.
 وأنشد الكسائي عليه:



(١) الرشاء: الحبل.

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعلاب هكذا أنشده جماعة وهو وهم، فقد رواه أبو حاتم الرازي الثعلبان بالفتح على أنه تشنية ثعلب، وذكر أن بني ثعلب كان لهم صنم يعبدونه، فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشدان، فرفع كل منهما رجله وبال على الصنم، وكان للصنم سادن يقال له غاوي بن ظالم، فقال البيت المتقدم ثم كسر الصنم، وأتى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك؟»، قال: غاوي بن ظالم، قال: «لا بل أنت راشد بن عبد ربه». وفي «نهاية الغريب» أنه كان لرجل صنم، وكان يأتي بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له اطعم، فجاء ثعلبان فأكل الخبز والزبد ثم عصّل على رأس الصنم، أي بال. والثعلبان ذكر الثعلاب. وفي كتاب «الهروي»: فجاء ثعلبان فأكلا الخبز والزبد، أراد تشنية ثعلب. قال الحافظ بن ناصر: أخطأ الهروي في تفسيره، وصحّف في روايته، وإنما الحديث: فجاء ثعلبان، وهو الذكر من الثعلاب اسم له معروف ولا مثنى، فأكل الخبز والزبد، ثم عصّل بالعين والصاد على رأس الصنم، فقام الرجل فضرب الصنم فكسره، ثم جاء إلى النبي ﷺ، فأخبره بذلك، وقال فيه شعراً وهو:

لقد خاب قوم أمّلوك لشدة أرادوا نزلاً أن تكون تحارب
فلا أنت تغني عن أمور تواترت ولا أنت دفاع إذا حلّ نائب
أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعلاب

والحديث المذكور في «معجم البغوي» وابن شاهين وغيرهما، والرجل المذكور راشد بن عبد ربه، وحديثه مشروح في كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصفهاني، وأهل اللغة يستشهدون بهذا البيت في أسماء الحيوان، والفرق في ذلك بين الذكر والأنثى كما قالوا: الأفعوان ذكر الأفاعي، والعقربان ذكر العقارب.

والثعلب سبع جبان، مستضعف ذو مكر وخديعة، لكنه لفرط الخبث والخديعة يجري مع كبار السباع، ومن حيلته في طلب الرزق أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه، حتى يظن أنه مات، فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده، وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد؛ قيل للثعلب: ما لك تعدو أكثر من الكلب؟ فقال: لأنني أعدو لنفسي، والكلب يعدو لغيره. قال الجاحظ: ومن أشد سلاح الثعلب عندهم الروغان والتماوت، وسلاحه سلحه، فإنّ سلاحه أنتن وألّرج من سلاح الجباري. قالت العرب:

أدهى وأنتن من سلاح الثعلب

والجاحظ اسمه عمرو بن بحر الكناني الليثي، وقيل له الجاحظ لأنّ عينيه كانتا جاحظتين، ويقال له الحدقي أيضاً، لذلك أصابه الفالج في آخر عمره، فكان يطلي نصفه بالصندل والكافور لشدة حرارته، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض لما أحسّ به من خدره، وشدة برده، وكان يقول: أنا من جانبي الأيمن مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت، ومن

جانبي الأيسر منقرس فلو مر به الذباب تألمت، وقال: اصطلحت على جسدي الأضداد، فإن أكلت بارداً أخذ برجلي، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي، وكان ينشد ويقول:

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس^(١) كالجديد من الثياب

وله التصانيف في كل فن، وهو من رؤوس المعتزلة، وإليه تنسب الطائفة الجاحظية من المعتزلة. ومن أحسن تصانيفه: «كتاب الحيوان». وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة، قال: ومن العجب في قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى تصيد العصفور فتأكله والعصفور يصيد الجراد فيأكله، والجراد يلتهم فراخ الزنابير فيأكلها، والزنبور يصيد النحلة فيأكلها، والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها، والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها.

روى صاحب «الغيلانيات» في الجزء الأول عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: رأيت كأني أجري مع الثعلب أحسن جري، فقال: أجريت ما لا يجري، أنت رجل في لسانك كذب، فاتق الله عز وجل، ومن شأن الثعلب إذا دخل برج حمام وكان شعبان قتلها ورمى بها لعلمه أنه إذا جاع عاد إليها وأكلها، وهو من الحيوان الذي سلاحه^(٢)، وهو أثن من سلاح الحباري، كما تقدم، فإذا تعرض للقنفذ ولقيه كالكرة، وتحصن بشوكه سلح عليه، فينبسط فعندها يقبض على مرق بطنه، ومن ظريف ما يحكى عنه أن البراغيث إذا كثرت في صوفه تناول صوفة منه بفيه، ثم يدخل النهر قليلاً قليلاً والبراغيث تصعد فراراً من الماء، حتى تجتمع في الصوفة التي في فيه، فيلقوها في الماء، ثم يهرب. والذئب يطلب أولاد الثعلب، فإذا ولد له ولد وضع أوراق العنصل على باب وجاره ليهرب الذئب منها. وفروه أفضل الفراء، ومنه: الأبيض والأسود، والخلنجي.

وقال القزويني في «عجائب المخلوقات» إنه أهدي إلى نوح بن منصور الساماني ثعلب له جناحان من ريش، إذا قرب الإنسان منه نشرهما، وإذا بعد عنه ألصقهما بجانبيه، ثم قال: وكانت الثعالب تطير في الزمن الأول. وفي آخر كتاب «الأذكياء» لأبي الفرج بن الجوزي عن المعافى بن زكريا قال: زعموا أن أسداً وثعلباً وذباً اصطحبا فخرجوا يتصيدون، فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب لأبي معاوية، يعني الثعلب، والظبي لي، فخبطه الأسد، فأطاح رأسه، ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة، هات أنت يا أبا معاوية، فقال الثعلب: يا أبا

(١) الدريس: البالي.

(٢) السلاح: فضلات البطن.

الحارث الأمر أوضح من ذلك، الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك، فقال له الأسد: قاتلك الله ما أفضاك من علمك هذه الأقضية؟ قال: رأس الذئب الطائح عن جثته. وفي رواية عن الشعبي: فقال له الأسد: قاتلك الله ما أبصرك بالقضاء والقسم، من أين تعلمت هذا؟ قال: مما رأيت من أمر الذئب.

ومما يروى من حيل الثعلب ما ذكره الشافعي، قال: كنا في سفر في أرض اليمن، فوضعنا سفرتنا لتعشى، وحضرت صلاة المغرب، فقمنا نصلي ثم نتعشى، فتركنا السفرة كما هي وقمنا إلى الصلاة، وكان فيها دجاجتان، فجاء الثعلب، فأخذ إحدى الدجاجتين، فلما قضينا الصلاة أسفنا عليها، وقلنا: حرمتنا طعامنا، فبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فمه شيء كأنه الدجاجة، فوضعه، فبادرنا إليه لنأخذه ونحن نحبه الدجاجة قد ردها، فلما قمنا جاء إلى الأخرى وأخذها من السفرة وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه فإذا هو ليف قد هيأه مثل الدجاجة.

ومما وقع من فطنة البهائم مما يقارب هذا ما يحكى عن القاسم بن أبي التثوخي الأنباري قال: كنت ماضياً إلى الأنبار في رفقة فيها بازدارية السلطان قد خرجوا يروضونها فأطلقوا بازياً على دراج فطار الدراج إلى غيضة، فدخل فيها وألقى نفسه بين شوك كان فيها، فأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين في رجله، ونام على قفاه ورفع رجله فاستتر بذلك من الباز، فلما قرب منه البازداري طار فصاده البازي، فقالوا: ما رأينا قط دراجاً أحذق من هذا، وقد أورد هذه الحكاية القاضي أبو علي الحسن بن علي التثوخي أيضاً في كتاب «أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة» بألفاظ مخالفة لما سيق هنا، فقال: وحذّني أبو القاسم بن أبي طالب التثوخي الأنباري، قال: كنت ماضياً إلى الأنبار مع رفقة بازدارية للسلطان، فأطلقوا بازياً على دراج لهم، فطار الدراج ولحقه الباز، فأخذوا يهللون ويكبرون ويعجبون فلحقتهم وسألتهم، فإذا بالدراج قد دخل غيضة، فألقى نفسه بين شوك كان فيها وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين بين رجله، ونام على قفاه وشال رجله وفيهما الشوك، ليتخفى به عن الباز، والباز قد طلبه طويلاً فلم يره، وقد خفي عليه أمره بذلك الشوك الذي شاله في رجلين حتى ستر به نفسه، إلى أن جاء البازدارية فرأوا الدراج، فقصده وقربوا منه فطار وأحس به الباز فاصطاده، فسمعتهم يقولون: ما رأينا قط دراجاً أكر من هذا ولا أحذق منه بالتوقي، ولا سمعنا بمثل هذا، وأسرفوا في التعجب منه، وهذه أخبار تقارب ما تقدّم في فطنة الطير وذكائه.

وقال القاضي أبو علي التثوخي: حدّثني أبو الفتح البصري قال: حدّثني بعض أهل الموصل ممّن كان مغرى بالصيد وطلب الجوارح أنّ صياداً من أهل أرمينية وتلك النواحي حدّثه قال: خرجت إلى الصحراء يوماً، فنصبت شبكتي وجعلت فيها طائراً مستأنساً، ودخلت في كوخ تحت الأرض يسترني، وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى إذا وقع فيها شيء من البزاة

أو الصقور أو الشواهين أو غير ذلك من الجوارح أخذته، فلما كان قريباً من الظهر وإذا بزمجة لطيفة قد طارت على الشبكة فلما رأتها نفرت وترجّلت قريباً منها، فجلست على الأرض ساعة، فإذا بعقاب جائز، فلما رآها ترجّلت معها وجلسا جميعاً وإذا بطائر يطير في الجو فنهضت الزمجة قبل العقاب، وطارت خلف الطائر، فلم تزايله إلى أن صادته، وجاءت به فنسرت به وصار لحماً، وأقبلت تأكل، فجاء العقاب وأكل معها، فلما فني اللحم زاف العقاب عليها فضربت وجهه بجناحها فزاف ثانية، فضربته أشدّ من الأولى فزاف الثالثة، فضربته أشدّ من ذلك، ولم تزل تضربه بمنصرها إلى أن قتلتها، وطارت فتعجّبت من نفورها من الشبكة، وقلت: هي كرزة ويجوز أن تعرف الشبكة بالعادة، ومما سوى ذلك من مناهضتها للطائر قبل العقاب حتى صادته، ثم إنّها منعت العقاب من سفادها وأنها أطعمته من صيدها ثم لم ترض بذلك حتى قتلتها لما ألحّ عليها، وطمعت في أن أصيدها لأصيدها ما لا قيمة له فبت ليلتي في ذلك الكوخ، فلما كان من الغد فإذا هي قد ترجّلت قريباً من الشبكة في مثل ذلك الوقت، فنزل إليها عقاب فجلس معها، وعنّ لهما صيد فجرت صورتها مع العقاب الثاني كما جرت مع العقاب الأوّل سواء بلا اختلاف البتة وطارت، فزاد تعجّبي وحرصي عليها، وبتّ ليلتي الثانية في الكوخ، فلما كان في اليوم الثالث فإذا بها قد ترجّلت على الصورة والرسم، وإذا بعد ساعة بعقاب لطيف الجثة، وحشي الرّيش قد ترجّلت فما مضت ساعة حتى عنّ لهما صيد فهمت الزمجة بالنهوض، فضربها العقاب بجناحيه ضربة كاد يقتلها، ونهض مسرعاً إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء به فنسره وطرحه بين يديها ولم يذق منه شيئاً حتى أكلت الزمجة واستوفت ثم أكل هو بعدها لحم الطائر الباقي وفني فزاف عليها فزافت له، ولم تمنعه فزاف الثانية فركبها، فمكنته حتى سفدها ثم طارا معاً.

وحكى القاضي أبو علي التنوخي أيضاً قال: حدّثني فارس بن مشغف أحد الجند القدماء المولدين، وقد صار بواباً لأبي محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال: كنت أصحب قائداً من قوّد السلطان يعرف بأبي إسحاق بن أبي مسعود الأزدي، وكانت إليه إمارة المدائن إسبانيين والمدينة العتيقة، وكانت إذ ذاك عامرة أهلة، والساطين ينزلون بها، وكنت مقيماً فيها معه، وكان لهجاً بالصيد، فخرج ذات يوم وأنا معه إلى المدينة المعروفة بالرومية المقابلة للمدينة العتيقة، وهي إذ ذاك خراب، ومعه آلة صيده وجنده حتى ملّ وسلك الطريق راجعاً، وكان معه صقر له فاره قد شبع ممّا أطعمه من صيده، فصيح الصقار صدره وحمله على يده، وهو يسير إذ اضطرب الصقر اضطراباً شديداً، فقال له ابن أبي مسعود: قد شاهد الصقر طريدة، وهذا الاضطراب لأجلها، فأرسله، فقال: يا سيدي هو صقر شره، واضطرابه ليس لهذا وقد شبع ولا آمن أن أرسله على طريدة وهو شعبان، فيتبه، فزاد اضطراب الصقر، فقال: أرسله وليس عليك منه شيء، فأرسله فطار وتراكضنا خلفه حتى جاء إلى أجمة صغيرة تستره،

ونحن نراه فرفرف عليها وإذا بشيء قد صعد منها مثل الشاب في مقدار زج النشابة فقط، فحاص عنه الصقر ثم انحط في الأجمة، فدخلنا خلفه، فإذا هو قد ترجل على حباري، واصطادها وإذا هو طلع على يد الصقار.

ومن عادة الحباري أن تذرق على الجارح الذي يصيدها لتجرح جناحه وتعقره بذرقها لحماه وحدته، وينسلخ جلده والصقر عارف بذلك، فاحتال عليها الصقر فرفرف عليها كأنه يريد صيدها، فذرقت الحباري إلى فوق حتى صعدت ذرقتها، فلما أخطأت الصقر انحط عليها في الحال، فاصطادها، وكان الصقارون ومن حضر من الجند والمتصيدين المدنيين يعجبون من ذلك، ويعدونه من غرائب ما شاهدوه من أفعال الجوارح. وذكر القاضي التنوخي عن فارس هذا قال: كنت مع هارون بن غريب الحبال من جملة عسكره ورجاله ونحن قيام بين يدي حلوان والجند سائرون وهو يتصيد في طريقه إذ عنّ له غزال، فأرسل عليه صقراً كان بحضرته، ولم يكن الكلابون بالقرب منه، فيرسلون معه كلباً لأنّ العادة أنّ الصقر لا يصيد غزلاً إلا إذا كان معه كلب، وذلك أنّ الصقر يطير فيقع على رأسه فيعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه فيمنعه من شدة العدو، فيلحقه الكلب فيصيده، هكذا جرت العادة في صيد الغزلان بالصقور إلا أنّ ابن الحبال لما لاح له الغزال أطلق الصقر لثلاث يفوته الغزال، وغرر به لحوق الكلاب في الحال، وقد رأى أن يشغله الصقر عن العدو فتلحقه خيلنا ورماحنا، فطار الصقر وتراكضنا خلفه وأنا ممّن ركض، وجرى الغزال فوافى إلى منحدر في الصحراء فانحدر فيه، فلما حصل منحدرأ سقط الصقر على خذّه وعنقه، فأنشب مخلبيه فيهما وحمله الغزال، فرأينا الصقر قد سدل أحد مخلبيه حتى إنّه يخط في الأرض حتى إذا وصل إلى موضع من الصحراء فيه شوك، فعلق بأصل شوك عظيم، ثم جذب عنق الغزال بالمخلب الآخر الذي كان أمسكه به في خذّه وأصل عنقه، وإذا به قد دق عنقه وصرعه فلحقناه وذكيناه، ووقعت البشارة، فقال ابن الحبال ومن معه: ما رأينا قط صقراً أفره من هذا، وخلع على الصقار خلعة حسنة.

وحكى القاضي أبو علي التنوخي قال: أخبرني أبو القاسم البصري قال: أخبرني بعض الجمдарية من الجند أنّه كان مع قائد من قوادهم في الصيد، ومعه عقاب يتصيد به، وقد اصطاد واستكفى إذ اضطرب العقاب على يد العقاب اضطراباً شديداً، فخاف على نفسه لأنّ العقاب ربّما أتلّف عقابه إذا منعه من إرادته، وليس يجري مجرى غيره من الجوارح، فأرسله العقاب فطار وطرّد وراءه، فإذا به قد سقط على شيخ ضعيف كان يجر شوكاً وهو يمشي على أربع، فنسره ودق عنقه وأتلّفه وولغ في دمه وأكل من لحمه، وإذا بالعقاب قد جاء إلى القائد، فقال له: ما الخبر؟ فقال له يا سيدي اصطاد العقاب شيخاً وحشياً برياً، وكان يسمعون نقول: اصطد لنا غزلاً وحشياً وسنوراً برياً، فقدّر أنّ شيخاً برياً ووحشياً مثله، ولم يفكر أنّ العقاب أتلّف رجلاً مسلماً، فقال القائد: ويحك، ما تقول؟ وحرك، فحركنا وراءه، فوجدنا الشيخ، فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً وعجبنا من أمر العقاب.

وحكى القاضي التتوخي في كتابه أيضاً قال: حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال: حدّثني بعض المتصيّدين، وقد تجارينا عجائب ما يجري فيه، فقال: من أحسن وأظرف ما رأينا منه أنّ بازيّاً كان لفلان - وسّمَاه - أرسله فاصطاد دراجاً وقبض عليه بإحدى يديه، وترجل كما جرت به العادة وأمسكه ينتظر البازداري، فيذبحه ويطعمه منه كما جرت العادة في مثل ذلك، وهو على جانبه إذ أبصر دراجاً آخر يطير فطار، والدراج الأوّل في إحدى يديه حتى قبض على الدراج الآخر، فاصطاده وترجل، وقد أمسكها بيديه جميعاً، فاجتمعنا وشاهدناه على هذه الحالة فاستظرفناه، ثم أخذناهما من يديه. وذكر ابن الجوزي في آخر كتاب «الأذكياء» والحافظ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» عن الشعبي أنّه قال: مرض الأسد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب فتم عليه الذئب، فقال الأسد: إذا حضر فأعلمني، فلمّا حضر أعلمه، فعاتبه في ذلك، فقال: كنت في طلب الدواء لك قال فأي شيء أصبت؟ قال: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج، فضرب الأسد بمخالبه في ساق الذئب، وانسل الثعلب، فمر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا قعدت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك، قال الحافظ أبو نعيم: لم يقصد الشعبي من هذا سوى ضرب المثل وتعليم العقلاء وتنبيه الناس وتأكيد الوصية في حفظ اللسان وتهذيب الأخلاق والتأدب بكل طريق، وفي مثل ذلك قيل:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى إنّ البلاء موكل بالمنطق

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: نهانا رسول الله ﷺ في الصلاة عن ثلاثة: نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب؛ وقيل للشعبي: يقال في المثل إنّ شريحاً أدهى من الثعلب، وأحيل فما هذا؟ فقال: خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف، فكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب، فيقف تجاهه ويحاكيه ويخيل بين يديه ويشغله عن صلاته، فلمّا طال ذلك عليه نزع قميصه، فجعله على قصبة وأخرج كميّه وجعل قلنسونه عليها، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته، فأناه شريح من خلفه، وأخذته بغتة، فلذلك يقال شريح أدهى من الثعلب وأحيل، ويقال: ضغا الثعلب والسنور يضغو وضغواً أي صاح، وكذلك صوت كل ذليل مقهور. ويقال للإمام العلامة أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري رأس المؤلفين وإمام المصنفين صاحب التصانيف الفائقة والآداب الرائقة كـ «ثمار القلوب»، وفقه اللغة، ويطيمة الدهر في محاسن أهل العصر وغير ذلك من التصانيف، الثعالبي منسوب إلى خياطة جلود الثعالب لأنّه كان فراء، ويطيمة الدهر أكبر كتبه وأحسنها، وفيها يقول أبو الفتح نصر الله بن قلاقص الإسكندراني:

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة

ومن شعر أبي منصور الثعالبي:

يا سيّداً بالمكرمات ارتدى وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجري على مقتضى مودة طال عليها المدى
إن غبت لم أطلب وهذا لي مان بن داود نبي الهدى
تفقد الطير على شغله فقال مالي لا أرى الهدهدا
وله في غلام مسافر:

فديت مسافراً ركب الفيافي فأثر في محاسنه السفار
فمسك ورد خديه الوافي وغبر مك صدغيه الغبار
توفي سنة تسع وعشرين؛ وقيل سنة ثلاثين وأربعمائة.

الحكم: نص إمامنا الشافعي رحمه الله على حل أكله، وقال ابن الصلاح: ليس في حله حديث عن رسول الله ﷺ، وفي تحريمه حديثان في إسنادهما ضعف، واعتمد الشافعي في ذلك على عادة العرب في أكله، فيندرج في عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ أَجَلٌ لَّكُمْ أَطْيَبُ﴾ [المائدة: 4]، ويحله قال طاوس وعطاء وقتادة وغيرهم، ونقل في فوائد رحلته عن أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي الإمام في الحديث والفقه تلميذ البويطي رحمه الله أنّ الثعلب حرام، وكره أبو حنيفة ومالك أكله، وأكثر الروايات عن أحمد تحريمه لأنّه سبع.

الأمثال: قالوا: أروغ من ثعلب، قال الشاعر:

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحة
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة
وفي «المجالسة» للدينوري أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو على المنبر: إن الذين قالوا ربّنا الله، ثم استقاموا ولم يروغوا روغان الثعلب. وفي رواية: الثعلب، وفي «شعب البيهقي وأمثال العسكري» عن الحسن بن سمرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «مثل الذي يفر من الموت كالثعلب تطلبه الأرض بدين فجعل يسعى حتى إذا أعيانها وانهر دخل جحره، فقالت له الأرض: يا ثعلب ديني ديني، فخرج فلم يزل كذلك حتى انقطعت عنقه، فمات»، وقالوا: أذل ممن بالت عليه الثعلب يضرب لمن يستذل كما تقدم، وأدهى من ثعلب وأعطش من ثعالة، قال حميد بن ثور:

ألم تربيني وبين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعلاب
وأصبح صافي الود بيني وبينه كأن لم يكن والدهر فيه عجائب
الخواص: رأسه إذا ترك في برج حمام هربت كلّها، ونابه يشدّ على الصبي الذي به ريح الصبيان يذهب عنه ولا يفزع في نومه، وتحسن أخلاقه، ومرارته إذا نفخت في أنف المصروع

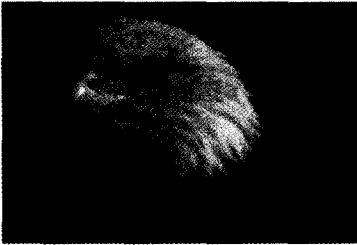
لا يصرع أبداً، ولحمه ينفع من اللقوة والجذام، وشحمه يذاب ويطلى به من النقرس يزول وجعه في الحال، وخصيته تشد على الصبي فتنبت أسنانها بغير ألم، وفروه أنفع شيء للمرطوبين بخوراً ولبساً، ودمه إذا طلي به رأس صبي نبت شعره وإن كان أقرع، وإذا استصحب دمه إنسان لا تؤثر فيه حيلة محتال، ورثته إذا سحقت وشربت نفعت من الريح، وأنيابه إذا علقت على المصروع برىء، وطحاله إذا شُد على ذي الطحال الوجع أبرأه، وقال هرمس: من أمسك كليتي الثعلب بيده لم يخف الكلاب، ولم تنجح عليه، وأذنه إذا علقت على الخنازير التي في العنق أبرأتها، وشحمه إذا أذيب وقطر في الأذن الوجعة سكن وجعها، وذكره ينفع من الصداع إذا علّق على الرأس، ومرارته إذا طلي بها الذهب يصير لونه لون النحاس، وخصيته تنفع من الورم الكائن عند الأذنين إذا دلك بها، وكبده إذا سقي منه وزن مثقال بشراب من به وجع الطحال أبرأه من ساعته، وشحمه إذا طلي به أطراف اليدين والرجلين أمنت مضرة البرد، ودماغه إذا خلط بوردس وطلي به الرأس أذهب القرع والحزاز والبثور وسقوط الشعر، وقضيبه إذا علّق على الصبي الذي يبكي بالليل ويفزع يذهب ذلك عنه، وكذلك يفعل الناب وشحمه تجتمع عليه البراغيث حيث كان، وخصيته إذا جففت وسقي منها رجل وزن درهم زاد في الجماع والإعناظ، وزبله يسحق بدهن ورد ويطلى به الإحليل وقت الجماع يزيد فيه ما شاء. وفي «كتاب الأبدال»: إن طلبت شحم الثعلب فلم تجده فبدله شحم الذئب.

التعبير: الثعلب في المنام امرأة، فمن رأى أنه يلعب ثعلباً، فإن له امرأة يحبها وتحبه، وقيل الثعلب رجل ذو مكر وخديعة، فمن نازعه فإنه ينزع غريماً، كذلك وأكل لحمه، ويدل على وجع يصيب الأكل من الرياح ويبرأ، وقيل إنه عدو من قبل سلطان؛ وقالت اليهود إنه يدل على الطبيب أو المنجم؛ وقالت النصارى من قبل ثعلباً فإنه يصيب امرأة عزيزة؛ وقيل من قتل ثعلباً قتل ولد رجل شريف، ومن شرب لبن ثعلب شفي من مرض، وقيل من نازع ثعلباً في نومه خاصم بعض أهله وأصدقائه، والله تعالى أعلم.

الثفا: بالطاء المثلثة وبالفاء والألف في آخره، السنور البري، وهو قريب من الثعلب على شكل السنور الأهلي وسيأتي في بابها إن شاء الله تعالى.

الثقلان: الإنس والجن. سمي بذلك لأنهما ثقلا الأرض، وقيل لشرفهما، وكل شريف يقال له ثقيل؛ وقيل لأنهما مثقلان بالذنوب.

الثلج: فرخ العقاب، قاله ابن سيده.



الثني: الذي يلقي ثنيته ويكون ذلك في ذوات الظلف والحافر في السنة الثالثة، وفي ذي الخف في السنة السادسة، والجمع ثنيان وثنايا، والأنثى ثنية، والجمع ثنيات.



الثور: الذكر من البقر، وكنيته أبو عجل، والأنثى ثورة، والجمع ثورة وثيران وثيرة، قال سيبويه: قلبوا الواو ياء حيث كانت بعد كسرة، قال: وليس هذا بمطرد، وقال المبرد: إنما قلبوا ثيرة ليفرقوا بينه وبين ثورة الأقط، وبنوه على فعلة، ثم حرّكوه وسمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض، كما سميت البقرة

بقرة لأنها تبقرها. قال في «الإحياء»: نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحترثان في قرن، فوقف أحدهما يحك جسمه، فوقف له الآخر، فبكى أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: هكذا الأخوان في الله عز وجل يعملان لله تعالى، فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر، وبالموافقة يتم الإخلاص، ومن لم يكن مخلصاً في إخائه فهو منافق، والإخلاص استواء الغيب والشهادة والقلب واللسان.

فائدة: قال وهب بن منبه: كانت الأرض كالسفينة تذهب وتجيء، فخلق الله تعالى ملكاً في غاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه، ففعل وأخرج يداً من المشرق ويداً من المغرب، وقبض على أطراف الأرض، فأمسكها، ثم لم يكن لإقدامه قرار، فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء، في وسطها سبعة آلاف ثقبه يخرج من كل ثقبه بحراً لا يعلم عظمه إلا الله عز وجل، ثم أمر الصخرة فدخلت تحت قدمي الملك، ثم لم يكن للصخرة قرار، فخلق الله عز وجل ثوراً عظيماً له أربعة آلاف عين، ومثلها أذان، ومثلها أنوف وأفواه وألسنة وقوائم، ما بين كل اثنتين منها مسيرة خمسمائة عام. وأمر الله تعالى هذا الثور، فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرنه، واسم هذا الثور كيوثا، ثم لم يكن للثور قرار، فخلق الله تعالى حوتاً عظيماً لا يقدر أحد أن ينظر إليه لعظمه وبريق عينيه وكبرهما حتى إنه لو وضعت البحار كلها في إحدى مناخره لكانت كخردلة في فلاة، فأمر الله تعالى ذلك الحوت أن يكون قراراً لقوائم هذا الثور، واسم هذا الحوت يهيموت، ثم جعل قراره الماء، وتحت الماء هواء، وتحت الهواء ماء، وتحت الماء ظلمات، ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمات، هكذا نقله القاضي شهاب الدين بن فضل في كتاب «مسالك الإبحار في ممالك الأبصار» في الجزء الثالث والعشرين منه.

فائدة أخرى: روى مسلم في كتاب «الظهار» والنسائي في عشرة النساء عن ثوبان أن أهل الجنة حين يدخلونها ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، ويأكلون من زيادة كبد الحوت. وروى هناد بن السري وابن إسحاق بإسناد حسن أن الشهداء حين يدخلون الجنة يخرج عليهم حوت وثور من الجنة لغنائهم، فيلعبان حتى إذا كثر عجبهم منهما طعن الثور الحوت بقرنه فبقره لهم، كما يذبحون ثم يروحان عليهم أيضاً لعشائهم فيلعبان فيضرب الحوت الثور بذنبه فيبقره كما يذبحون، قال السهيلي: وفي هذا الحديث من باب التفكير والاعتبار أن

الحوت لما كان عليه قرار هذه الأرض وهو حيوان سابح استشعر أهل هذه الدار أنهم في منزل قلعة وبوار، وليست بدار قرار، فإذا نحر لهم قبل أن يدخلوا الجنة فأكلوا من كبده كان ذلك إشعار لهم بالراحة من دار الزوال، وأنهم قد صاروا إلى دار القرار، كما يذبح لهم الكبش الأملح على الصراط ليعلموا أنه لا موت ولا فناء، وأما الثور فهو آلة الحرث، وأهل الدنيا لا يخلون من أحد هذين الحرثين حرث لدنياهن وحرث لأخراهن، ففي نحر الثور هنالك إشعار براحتهم من الكدين وترفيهم من نصب الحرثين.

فائدة أخرى: روى البخاري في بدء الخلق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشمس والقمر يوران يوم القيامة»، انفرد به البخاري، وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق، فقال: حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجدة الكوفة، وجاء الحسن، فجلس إليه، فحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثوران في النار يوم القيامة»، فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: ما ذنبهما؟ ثم قال البزار: ولا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث، وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي من طريق درست بن زياد عن يزيد الرقاشي وهما ضعيفان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشمس والقمر ثوران عقيران في النار»، وقال كعب الأحبار: يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم ليراهما من عبدهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98]، الآية، وخرج أبو داود والطبرسي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثوران عقيران في النار»، وفي «نهاية الغريب» قيل لما وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، ثم أخبر سبحانه وتعالى بجعلهما في النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحان بها صار كأنهما ثوران عقيران لا يبرحان؛ كذلك ذكر ذلك أبو موسى وهو كما تراه؛ وقيل: إنما يُجمعان في جهنم لأنهما عُبدتا من دون الله عز وجل، ولا يكون لهما عذاب لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة على تبييت الكافرين وخزيهم. ورد ابن عباس قول كعب الأحبار، وقال: الله أجل وأكرم من أن يعذب الشمس والقمر وإنما يخلقهما يوم القيامة أسودين مكورين، فإذا كانا حيال العرش خرا ساجدين لله تعالى، ويقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا لك وسرعتنا في الماضي في أمرك أيام الدنيا، فلا تعذبنا بعبادة الكافرين إيانا، فيقول الرب تعالى: صدقتما إنني قضيت على نفسي أن أبدى وأعبد وإني أعيدكما إلى ما بدأتكما منه، وإني خلقتكما من نور عرشي، فارجعا إليه، فيختلطان بنور العرش، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبُئِيذُ﴾ [البروج: 13].

وروى أبو نعيم في ترجمة سعيد بن جبير أنه قال: أهبط الله تعالى إلى آدم ثوراً أحمر، فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: 117]، فكان ذلك شقاءه، وكان عليه السلام يقول لحواء: أنت عملت بي هذا، فليس أحد من ولد آدم يعمل على ثور إلا قال: (حو) دخلت عليه من قبل آدم، وكانت العرب إذا أوردوا البقر فلم تشرب إماً لكدر الماء أو لقلّة العطش ضربوا الثور فيقتحم الماء لأنّ البقرة تتبعه، وقال في ذلك أنس بن مدركة في قتله سليك بن سلكة:

إنّي وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

الأمثال: قالوا: الثور يحمي أنفه بروقه، والروق القرن يضرب في الحث على حفظ الحريم، وفي «سنن النسائي» و«سيرة ابن هشام» أنّ الصديق ﷺ لما قدم المدينة مع رسول الله ﷺ أخذته الحمى، وعامر بن فهيرة وبلالاً، قالت عائشة رضي الله عنها: فدخلت عليهم وهم في بيت واحد، فقلت: كيف أصبحت يا أبت؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

فقلت: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون إنّ أبي ليهذي، ثم قلت لعامر: كيف تجدك؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه والمرء يأتي حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت والله هذا ما يدري ما يقول، ثم قلت لبلال: كيف أصبحت؟ فقال:

ألا ليت شعري هل أبیتن ليلة بفخ وحولي إذخر وجليل

وهل أردد يوماً مياه مجنة وهل يَبْدُونُ لي شامة وطفيل

قالت: ثم إنّي دخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «اللهم حبّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدّنا، اللهم انقل حماها إلى مهيعة». قول عامر: بطوقه الطوق الطاقة، وقول بلال: بفخ، هو واد بمكة، ومجنة سوق بأسفل مكة، وشامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة، وقوله ﷺ: مهيعة الجحفة. وقالت العرب: أرعى من ثور، وقالوا: إنّما أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

روي عن علي رضي الله عنه أنّه قال: إنّما مثلي ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كانت في أجمة أبيض وأسود وأحمر، ومعها فيها أسد، فكان لا يقدر منها على شيء لاجتماعها عليه، فقال الأسد للثور الأسود وللثور الأحمر: إنّ لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض، فإنّ لونه مشهور ولوني على لونكما، فلو تركتmani آكله خلت لكما الأجمة وصفت، فقالا: دونك وإياه فكله، فأكله، ومضت مدة على ذلك، ثم إنّ الأسد قال للثور الأحمر: إني لوني على لونك، فدعني أكل الثور الأسود، فقال له: شأنك به، فأكله، ثم بعد أيام قال للثور الأحمر: آكلك لا

محالة، فقال: دعني أنادي ثلاثة أصوات، فقال: افعل، فنأدى: إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض، قالها ثلاثاً، ثم قال علي كرم الله وجهه: إنما هنت يوم قتل عثمان رضي الله عنه يرفع بها صوته.

ومن خواصه: أنه إذا نزل الثور على البقرة ثم بال بعد نزوله فمن أخذ من ذلك الطين وطلّى به إحليله هبّج الباه وأنعظ، ومثانته إذا أخذت وجففت وسحقت وسقيت لمن يبول في فراشه بخل وماء بارد نفعه وأبرأه، وإذا وقف الثور عن السير فاربط خصتيه فإنه يسير بنشاط، وينساق سريعاً، وإذا طرح في أذن الثور زئبق مات مكانه، وإن طلي منخره بدهن ورد صرع، وإن كتب ببوله على الحديد أثر فيه حتى يقرأ، وقد تقدّم له خواص في باب الباء الموحدة في البقرة.

وأما تعبيره: فإنه يدل على سيد شديد البأس كثير النفع والعون موافق مطواع وربما دل على الشاب الجميل لأنه من أسمائه، وتدل رؤيته أيضاً على ثوران الفتنة أو العون على ما يذلّل الأمور الصعاب، خصوصاً لأرباب الحرث والزراعة والإنشاء، وربما دلت رؤيته على البلادة والذهول، ورؤية الثور الأبلق فرح وسرور، والأسود سوّد أو شفاء للمريض، وربما دل الثور على الجنون لأنه من أسمائه.

الثول: بفتح الناء وسكون الواو، ذكر النحل؛ وقيل جماعة النحل، وعلى هذا قال الأصمعي لا واحد له من لفظه، والثول بالتحريك جنون يصيب الشاة، فلا تتبع الغنم وتستدير مرتعها، وشاة ثولاء وتيس أثول.

الثيتل: الذكر الممسّن من الأوعال، وفي حديث النخعي في الثيتل: بقرة يعني إذا صاده المحرم أو في الحرم.

